# مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

# Orthodox Archdiocese of Beirut


## الرسالة

(١ كورنثوس ٤: ٩-١٦)

يا إخوةُ إنَّ الله قد أبرزنا نحنُ الرسلَ آخِرِي الناس كأنَّنا مجعولونَ للموت. لأنَّا قد صِرنا مشهداً للعالم والملائكة والبشر* نحنُ جهَّالٌ من أجل المسيح أمَّا أنتم فحكماءُ في المسيح. نحنُ ضعفاءُ وأنتم أقوياءُ. أنتم مُكرَّمون ونحنُ مُهانون* وإلى هذه الساعةِ نحنُ نجوعُ ونَعطَشُ ونَعْرى ونُلطَمُ ولا قرار لنا* ونتعبُ عامِلين. نُشتم فنُبارك. نُضطهد فنحتمل* يُشنَّعُ علينا فنتضرّع. قد صِرنا كأقذارِ العالم وكأوساخٍ يستخبِثها الجميعُ إلى الآن* ولستُ لأُخجِلَكم أكتب هذا وإنَّما أعِظكم كأولادي الأحبَّاء* لأنَّه ولو كان لكم ربوةٌ من المُرشدين في المسيح ليس لكم آباءٌ كثيرون. لأنّي أنا ولدتكم في المسيح يسوعَ بالإنجيل* فأطلبُ إليكم أن تكونوا مقتَدين بي.

## عيد رقاد والدة الإله

تعيّد كنيستنا المقدّسة في الخامس عشر من شهر آب لعيد رقاد والدة الإله الدائمة البتولية مريم. هذا العيد يشكّل الحلقة الأخيرة من أعياد العذراء الكلّيّة القداسة التي تتشابه إلى حدّ بعيد مع أعياد الرب يسوع. وتشكّل أعياد الرب يسوع مع أعياد والدة الإله ما يُعرف بالأعياد السيديّة.

وعت الكنيسة المقدّسة منذ البدء أهميّة والدة الإله في حياة المؤمنين، فهي قبلت مشيئة الله بأنّ تكون الإناء الذي سيحمل في داخله ابن الله الوحيد وكلمته، وهكذا اتخذ منها الرب يسوع جسده البشري. كما أنّها هي التي اعتنت به حين كان طفلاً وفتى وشابًّا، وكانت تحفظ في قلبها كلّ ما يقوله (لو ٢: ١٩). من جهة أخرى تمثّل العذراء مريم البشريّة جمعاء، المدعوّة إلى تقبّل مشيئة الله، وحفظ وصاياه في قلبها. انها بمثابة أمّنا جميعاً. هذا الرابط الإلهي من جهة والرابط البشري من جهة أخرى جعلا من والدة الإله الشفيعة الأقرب إلى قلب كلّ إنسان. فهي أمّنا التي تتشفّع إلى ابنها من أجلنا: «بشفاعات والدة الإله يا مخلّص خلّصنا».

لقد شدّدت الكنيسة على الرابطين الإلهي والبشري من خلال إقامة أعياد لوالدة الإله بالموازاة مع أعياد السيّد، فوضعت عيد ميلاد السيدة (٨ أيلول) مقابل عيد الميلاد (٢٥ كانون الأول)، وعيد دخول السيدة إلى الهيكل (٢١ تشرين الثاني) مقابل عيد دخول السيد إلى الهيكل (٢ شباط)، وأخيراً عيد رقاد والدة الإله (١٥ آب) مقابل ذكرى آلام السيد وصلبه ودفنه وقيامته وصعوده إلى السموات. كذلك حاولت الكنيسة من خلال الخِدَم الطقسيّة، وخاصة خدمة عيد رقاد والدة الإله، الإشارة إلى نوع من التماهي بين الرب يسوع ووالدته، فقد مرت العذراء مريم بكل ما مرّ به ابنها. نجد مثلاً في خدمة سَحَر عيد رقاد السيدة: «أيتها النقيّة، لقد حُزتِ جوائزَ الغلبة على الطبيعة بولادتكِ الإله، ولكنّك خضعتِ لنواميس الطبيعة، بحال


العدد٣٣/٢٠١٢

الأحد ١٢ آب

تذكار الشهيدين فوتيوس وأنيكيتوس

اللحن الأول

إنجيل السَحَر العاشر

## الإنجيل

(متى ١٧: ١٤-٢٣)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ فجثا له وقال يا ربُّ ارحم ابني فإنّه يُعذَّبُ في رؤوسِ الأهِلَّةِ ويتألَّم شديداً لأنَّه يقعُ كثيراً في النار وكثيراً في الماء* وقد قدَّمتُه لتلاميذك فلم يستطيعوا أن يشفوه* فأجاب يسوع وقال: أيها الجيلُ الغيرُ المؤمنِ الأعوجُ إلى متى أكونُ معكم. حتى متى أحتملُكم؟ هلمَّ به إليَّ إلى هنا* وانتهره يسوعُ فخرجَ منه الشيطانُ وشُفي الغلامُ من تلك الساعة* حينئذٍ دنا التلاميذُ إلى يسوعَ على انفرادٍ وقالوا لماذا لم نستطِع نحنُ أن نُخرجه* فقال لهم يسوع لِعَدَمِ إيمانِكم. فإنّي الحقَّ أقولُ لكم: لو كانَ لكم إيمانٌ مثلَ حبَّةِ الخردلِ لكنتم تقولون لهذا الجبلِ انتقِلْ من ههنا إلى هناك فينتقِلُ ولا يتعذَّرُ عليكم شيءٌ* وهذا الجِنس لا يخرجُ إلاَّ بالصلاة والصوم* وإذ كانوا يتردَّدون في الجليل قال لهم يسوع إنَّ ابنَ البشر مزمعٌ أن يُسلَّمَ إلى أيدي الناس* فيقتلونهُ وفي اليوم الثالث يقوم.

تفوق الطبيعة، مماثلةً ابنك وخالقك. ومن ثم نهضتِ بعد موتك، لتكوني مع ابنكِ سرمداً».

ولكن هناك فارق بين حَدَثي موت العذراء وصلب الرب يسوع. عند رقاد والدة الإله اجتمع الرسل من أقطار الأرض لتشييع والدة الإله، أما حين صلب الرب يسوع فقد تركه الرسل وهربوا خوفاً من اليهود: «إنّ المصفّ الكليّ الإكرام، مصفّ الرسل الحكماء، قد التأم بحالٍ عجيبة ليجهّز جسدك الطاهر بتمجيدٍ يا والدة الإله الكليّة التسبيح، ومعه قد سبّحت جماهير الملائكة مادحين انتقالك الموقّر الذي نعيّد له بإيمان».

اعتبرت الكنيسة هذا التماهي تماهيًا طبيعيًّا ومنطقيًّا، فإذ كان الرب قد اتخذ منها جسداً، فهو إذاً مرتبطٌ بها جسديًّا إذ هو قطعة منها. وبما أنّه الحياة فهي بالتالي أمّ الحياة. وكما رقد هو وقام كان لا بدّ لها أن ترقد وتقوم، مع الفرق أنّها لم تقم بالجسد، ولكن نفسها اتحدت بالمسيح القائم من بين الأموات: «يا والدة الإله، إنّ الذي حلّ في مستودعكِ الطاهر بحال مستغربة متجسّداً، وهو قد تقبّل روحك الكليّة القداسة وأحلّها في ذاته، كما يليق به بما انّه ابنٌ، فلذلك نسبّحك أيتها البتول، ونزيدك رفعةً على مدى الدهور»، «بما أنّك خدرٌ للحياة فقد نلتِ الحياة السرمدية، لأنّك بواسطة الموت قد انتقلتِ إلى الحياة، يا مَن ولدتِ الحياة ذات الأقنوم»، «إذا كان ثمرة البتول غير المدرك، الذي لأجله حصلتْ هي سماءً، قد كابد الدفن باختياره كمائت، فكيف تأبى الدفن والدته العادمة العيب»، «أيتها النقيّة، بما أنّك برزت من صُلب مائتٍ فقد قضيت بحسب سُنّةِ الطبيعة، وبما أنّك ولدتِ الحياة الحقيقيّة فانتقلتِ إلى الحياة الإلهيّة ذات الأقنوم».

لقد ذكرنا أنّ هناك رابطاً بشريًّا يربطنا بوالدة الإله، ونحن نعبّر عنه بطلب شفاعتها لدى ابنها وإلهنا، لأنّ لها «الدالة الوالدية» وهي «سريعة الشفاعة» كما نصفها في صلاة البراكليسي (التضرّع). وفي خدمة رقاد السيدة تندمج صلواتنا بالتضرّع إليها لكي تنقذنا من الشدائد ومن الموت: «في ميلادكِ حفظتِ البتوليّة وصنتها، وفي رقادكِ ما أهملتِ العالم وتركتهِ، يا والدة الإله، لأنكِ انتقلتِ إلى الحياة بما أنّك أمّ الحياة، فبشفاعاتك أنقذي من الموتِ نفوسنا».

لا بدّ من الإشارة أخيراً إلى قطعة المساء التي نرتّلها في صلاة الغروب بالألحان الثمانية، التي فيها نَصِفُ كيف أن الرسل جُذبوا من كلّ الأقطار وأقبلوا نحو مقام والدة الإله واجتمع الملائكة مع سيّدهم ليشيّعوا الجسم القابل الإله، وكان الملائكة يهتفون نحو رؤساء المراتب العلويّة ليفتحوا الأبواب ويتقبّلوا أمّ النور الذي لا يغرب، لأنّه بها قد صار الخلاص للجنس البشري بأسره، ونحن لا نستطيع أن نقدّم لها الإكرام بحسب الواجب لأنّ كرامتها تفوق كلّ عقل، لذلك نهتف نحوها طالبين إليها أن تتشفّع إلى ابنها اللابس الحياة أن يحفظ ويخلّص شعبه الجديد من كلّ صدمة مضادّة، ونهتف أخيراً نحوها قائلين: «فنحن نعظّمك بأصوات البهجة على مدى الدهور».

## تأمل

«هذا الجنس لا يخرج إلاَّ بالصلاة والصوم».

عندما تتعب متوسِّلاً الربّ من دون أن يُعيرك اهتماماً، فلا تشتكِ ولا تنسَ المرّات الكثيرة التي سمعتَ فيها فقيراً يرجوك من دون أن تكترث له وذلك بسبب قسوتك بينما الله يقوم بذلك بدافع رحمته. مع ذلك، فبينما لا تقبل أن يدينوك بأنّك لم تسمع لقريبك بسبب قسوتك، فإنّك تلوم الله الذي لم يسمعك بدافع رحمته.

لقد قلتُ سابقاً، إنّه حتى عندما لا يسمعك فإنّ منفعتك من الصلاة عظيمة، لأنّه من المستحيل أن يخطئ إنسان يصلّي برغبة ومن دون انقطاع، إنسان يسحق قلبه ويرفع ذهنه إلى السماء ويعترف بخطاياه بتواضع أمام الرب، لأنّه بعد صلاة كهذه يرمي بعيداً كلّ اهتمام بالأمور الأرضيّة ويكتسب أجنحةً ويسمو على الأهواء الإنسانيّة.

إنّ المياه العذبة لا تعطي للنباتات نضارة بقدر ما تعطي الدموع لشجرة الصلاة جاعلةً إيّاها ترتفع عالياً حتى عرش الله. هكذا يسمع الله صلاتنا. وكيف لا يسمع صلاة نفس تقف أمامه بانضباط وانسحاق وتواضع؟ نفس قد تحوّلت ذهنيًّا من الأرض إلى

## بتوليّة والدة الإله

«بما أنكِ كنز قيامتنا أيتها الكلّية التسبيح، فانتشلي الواثقين بك من عمق جب الزلّات، لأنّك خلّصت الساقطين تحت طائلة الخطيئة لما ولدت الخلاص، يا مَن هي قبل الولادة عذراء، وفي الولادة عذراء، وبعد الولادة أيضاً عذراء» (والدية اللحن السابع).

إن الكتاب المقدّس واضح في ما يختص بولادة الربّ يسوع المسيح، فقد حبلت به أمّه بواسطة الروح القدس، دون أن يعرفها رجل: «أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا. لمَّا كانت مريم أمّه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وُجدت حُبلى من الروح القدس... ولكن فيما هو متفكرٌ في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً يا يوسف ابن داود لا تَخَفْ أن تأخذ مريم امرأتك. لأنَّ الذي حُبلَ به فيها هو من الروح القدس» (متى ١: ١٨، ٢٠) (أنظر أيضاً لوقا ١: ٢٦-٣٢). وقد أكّد القانون الثاني من المجمع المسكوني الخامس (٥٥٣) أن العذراء هي «دائمة البتولية» وأن المسيح «تجسد من القديسة المجيدة والدة الإله الدائمة البتولية مريم»، أي أنها بقيت بتولاً قبل الولادة وخلالها وبعدها، كما يبسل القانون السادس كل مَن ينكر أن «القديسة المجيدة، الكلية البتولية مريم... هي حقًّا والدة الإله». وقد عبّرت الترانيم والصلوات الليتورجيّة عن هذا الإيمان: «التي لم تعرف رجلاً»، «التي لم تعرف زواجاً»، «عروس لا عروس لها».

لكن بعض الكتّاب المسيحيين من القرون الأولى أمثال ترتليانوس وأوريجنس وغيرهما شكّوا في كون مريم بقيت عذراء بعد ولادة السيّد، وقد استمرّت بعض البدع المعاصرة، كشهود يهوه، في الإدعاء بعدم بتوليّة مريم. وقد استند مَن أنكر دوام بتوليّتها إلى بعض الآيات:

١- «فأخذ يوسف امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر» (متى ١: ٢٤) (أي أن يوسف عرفها بعد أن ولدت إبنها البكر، بحسب إدّعائهم).

٢- استعمال الرب يسوع عبارة «امرأة» في منادته مريم «ما لي ولك يا امرأة» (يو ٢: ٤) «يا امرأة هوذا ابنك» (يو ١٩: ٢٦).

٣- ذكر الكتاب المقدّس أسماء أربعة إخوة للسيّد في (متى ١٣: ٥٥-٥٦ ومرقس ٦: ١-٥) «أليس هذا ابنُ النجار. أليست أمه تُدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا».

بماذا تُجيب الكنيسة الأرثوذكسية؟

في ما يختص بالنقطة الأولى، كلمة «حتى» لها معنيان في الكتاب المقدّس: «إلى أن» أو «ولو». وفي هذه الحالة لا تعني أن يوسف عرف مريم بعد ولادتها ابنها البكر. فكلمة «عرف» في اليونانية هي في الماضي المستمر، وهي لا تفيد التنبؤ بما سيحدث بعد الولادة. ونورد بعض الأمثال في الكتاب المقدّس حيث استعملت كلمة «حتى» بالمعاني الواردة أعلاه: «لم يكن لها ولد حتى ماتت» (٢ صمو ٦: ٢٣)، بالطبع لم تنجب بعد أن ماتت.

السماء؟ نفس قد طردت كلّ فكر إنسانيّ وكلّ اهتمام دنيويّ وكلّ تعلّق مَرَضيّ، وتكرّست كلّيًّا للإشتراك السرّيّ والمفرح مع ربّها؟

نعم، هكذا يجب أن يصلّي المسيحيّ. بعد أن يجمع فكره كلّه ويشدّده، حينئذٍ يتضرّع إلى الله بتوجّع. لا يحتاج لأن يقول كلمات لا تنتهي إذ تكفي الكلمات القليلة والبسيطة. إنّ استجابة الله للصلاة لا تتوقف على كثرة الكلمات، بل على صفاء العقل والقلب، وهذا يمكن أن يتأكّد منه الإنسان ممَّا يقوله الكتاب المقدّس عن حنّة العاقر أمّ النبي صموئيل حيث نذرت قائلةً: «يا رب إن نظرتَ نظراً إلى أَمَتك وذكرتني وأعطيتَ أمتك زرع بشر فإنّي أعطيه للرب كلّ أيّام حياته» (١ صمو ١: ١١). هل هذه الكلمات كثيرة؟ لا، ولكن لأنّ الصلاة قد تُليت بصفاءٍ وانتباه تمكّنت من الحصول على ما أرادت فاصطلحت طبيعتها القاصرة وانفتح رحمها وتخلّصت من احتقار أُمَّتِها لها وحصدت قمحاً غنيًّا من الأرض القاحلة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وقول وقول الله ليعقوب «لا أتركك حتى أفعلَ ما كلَّمتُك به» (تك ٢٨: ١٥)، وليس معنى ذلك أن الله ترك يعقوب بعد ذلك. أيضاً «لا يُغفَرنَّ لكم هذا الإثم حتى تموتوا» (أش ٢٢: ١٤)، ولا يفهم من ذلك أن الله يغفر بعد الموت.

أما عبارة «ابنها البكر» لا تعني أن المسيح هو بكر بين إخوة كثيرين ولدتهم العذراء بعد ولادته. فالبكر هو أول مولود وهو لا يأخذ صفة البكوريّة لوجود إخوة له والدليل على ذلك قول الرب في سفر الخروج «قدِّسْ لي كلَّ بِكرٍ كلَّ فاتِحِ رَحِمٍ» (خر ١٣: ٢)، وتقديسه للرب لم يكن يحدث بعد ولادة ابن آخر، بل بمجرّد ولادته دون انتظار غيره، كما إسحق الذي كان بكر سارة ولم يكن لها غيره.

أما في ما يتعلّق بالنقطة الثانية، فكلمة امرأة لا تستعمل في العبريّة على اساس أنها نقيض كلمة آنسة. بولس الرسول في رسالته إلى أهل غلاطية يقول: «أرسل الله ابنه مولوداً من امرأةٍ» (غلا ٤: ٤)، وكلمة امرأة هنا لا تعني أنها ليست عذراء إذ لا يمكن القول أن مريم لم تكن عذراء وقت ميلاد يسوع. بالأسلوب ذاته دعى الكتاب حواء امرأة قبل الخروج من الجنّة، قبل أن تعرف آدم زوجها «لأنَّها من امرئ أُخِذت» (تك ٢: ٢٣).

أمّا بالنسبة للنقطة الثالثة، فسنورد بعض الإيضاحات التي تثبت أن هؤلاء «الإخوة» ليسوا إخوة بالمعنى الحرفي. فالإنجيليون الذين استخدموا عبارة «إخوة يسوع» للإشارة إلى يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا (متى ١٣: ٥٥) يميّزون بوضوح بين أم يسوع وأم يعقوب ويوسي (متى ٢٧: ٥٦، مرقس ١٥: ٤٠). كما أنّه لو كان ليوسف أبناء غير يسوع لكان يسوع ترك أمه لديهم عندما صُلب ولما كان سلَّمها إلى يوحنا الحبيب. ومن ناحية أخرى، يروي القديس إيرناوس أن الكتاب المقدّس استعمل لفظة اخوة في الحالات التالية: رابطة الدم، وحدة الجنسيّة، القرابة، الصداقة. مثلاً يدعو إبرهيم ابن أخيه لوط أخاه (تك ١٣: ٨) كما يدعو لابان زوج ابنته أخاً (تك ١٥: ٢٩). وكان اليهود يدعون أبناء الأخوال والأعمام إخوة لأنهم غالباً ما كانوا يعيشون في البيت نفسه.

إذاً أصبح من الجليّ أن القديسة مريم والدة الإله بقيت عذراء حتى بعد ولادة ابنها البكر، وهذا ما أكّد عليه مجمع لاتران في رومية (٦٤٩) في قانونه الثالث قائلاً أن مريم بتول قبل الولادة وأثناءها وبعدها، وقد صادق على هذا القانون المجمع المسكوني السادس، وقد عبّرت الكنيسة عن إيمانها هذا ببتولية العذراء في الأيقونات فصارت ترسم ثلاثة نجوم على رأس والدة الإله وكتفيها، كعبارة عن بتوليتها قبل، أثناء وبعد الولادة.

**بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:**

**www.quartos.org.lb**